(٥٢)

العبَّارة

أخبر أبناءه وزوجته أن عليهم الاستعداد للعودة للوطن بدونه، لأنها ربما تكون فرصتهم الأخيرة بعدما تم إغلاق المطارات وتوقف رحلات الطيران ذهابًا وإيابًا ولم يعد هناك سوى الطريق البرى الذى سينقلهم من مكان إقامتهم بالرياض إلى المدينة المنورة ثم إلى جدة ليستقلوا العبارة إلى وطنهم مصر. وبتصاعد حدة الاشتباكات الجوية بين الأختين الشقيقتين العربيتين العراق والكويت كان لابد أن تنال جارتهم الملاصقة دولة السعودية من الحب جانب، وكان ذلك الحب هو صواريخ حربية تسقط على منطقتها الشرقية ومناطق من الرياض العاصمة، ليرى سكانها من المواطنين السعوديين ومن الجاليات المقيمة هناك قسطًا بسيطًا من ويلات الحرب التى لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

وكانت أزمة الحرب هذه فرصة سانحة لهؤلاء الأبناء الذين سمعوا كثيرًا عن الحروب العديدة التى خاضتها بلدهم مصر ضد أعدائها من المحتلين المغتصبين، والتى كبدتها خسائر فادحة لكنها هانت فى سبيل الوصول للحظة الانتصار التى نتج عنها التحرير المنشود للأرض والتحرر المأمول لسكانها. إنهم بالفعل شاهدوا حربًا عن قرب، ولكنهم لم يشعروا بأن تلك الحرب هى حربهم، ولم يفهموا سبب اندلاعها، ولا كيف ومتى ستنتهى. وفى ظل تلك المشاعر المختلطة والمبهمة أصبحوا بين عشية وضحاها أمام لحظة فارقة فى حياتهم ..

لحظة اختار فيها أبوهم أن ينقذهم من سعير الحرب، ليبقى هو فى بلاد الغربة التى وفرت له العمل وأتاحت له الرزق الحلال والوفير.

لقد قرَّر الأب أن يحتفظ بعمله غير مفرطٍ فى رزقه الميسور، وأن يحافظ فى نفس الوقت على حياة أسرته ويحميها من كل خطرٍ محتمل. وحانت اللحظة الفارقة التى يصعب الاختيار فيها عندما صعد الأبناء بصحبة أمهم على ظهر المركب مودعين أباهم وداعًا غارقًا فى الدموع، ومشبعًا بهواجس عدم حدوث اللقاء المأمول مرة أخرى، وبرجاء السلامة فى عالمٍ غير حنون.